

النشاط المدرسى

وأثره في إعداد النشء وتكوين شخصيته

لحضرة صاحب العزة محمد بك فهميم

مرافق عام النشاط المدرسى بوزارة المدرف

طلبت إلى مجلة الشؤون الاجتماعية أن أتحدث عن "النشاط المدرسى وأثره في إعداد النشء وتكوين شخصيته" وإذ إنه ليغيب لى أن أتحدث عن النشاط المدرسى فهو تطور حديث في أساليب التربية والتعليم يشغل تفكير المرين الذين يخضعونه بقسط وافر من عنايتهم ورعايتهم لما ظهر من آثاره ذات الخطر العظيم في تربية النشء وإعداده وتكوين شخصيته .

وإني لأشعر بأن الكثيرين لا يدركون تماما ما هو النشاط المدرسى ،حتى لقد قال لى كبير مرة : ما معنى النشاط المدرسى ؟ فقلت لعلك تجربنى ما هو على حد علمك ومعرفتك . فقال : لست أدرى ، هل معناه أنه إذا كسل ابنى أخطرك لتعمل على تشييطه . فقلت هذا بعيد عن الحقيقة وإن كان النشاط المدرسى يعمل على محاربة الركود الفكرى والنحول .

والنشاط المدرسى ترجمة لما يسمونه بالانجليزية (School Activities) وبالفرنسية (Les Activités Scholaires أو Les Loisirs) ويسميه الأمريكيون عادة (Extra. Curricular Activities) أى نواحى النشاط خارج خطة الدراسة الموضوعية . وعلى ذلك يكون النشاط المدرسى هو أعمال التلاميذ الرياضية والأدبية والعلمية والعملية والفنية والاجتماعية التى يؤدونها خارج الفصول ، والتى يقصد بها تركيز المادة التى يتعلمونها وتفهمها ، والانتفاع بها فى حياتهم . وعلاوة على ذلك تعلم أشياء ليست فى صلب خطة الدراسة والمناهج الموضوعية ، لتعاون فى إعدادهم إعدادا صالحا قويا للحياة العملية ، ليكونوا مواطنين صالحين .

والموقع أن النشاط المدرسى بوجوهه المختلفة يبعث الحياة فى الدراسة العادية ، ويفضلها بما يأتى :

(أولا) بأنه ليس إجباريا بل يستند إلى أساس من رغبة الشباب ، وآرائهم ، وخواطرهم وطموحهم ، فيختار التلميذ من ضروبه ما يناسب ميوله وخصائمه ، فيستطيع المشرفون على تربيته أن يقفوا على تلك الميول ، ويوجهوه الوجهة التى تناسبه ، ويكون ذا أحسن الأثر فى تكوينه فى شتى النواحى الجثائية والحلقية ، والعلمية والعملية ، وفى النهاية فى خلق المواطن الصالح النافع .

(ثانيا) بأنه في كثير من الاحيان يعاون على تشجيع روح الابتكار في التلاميذ ، و يعى قوة الإرادة ، ويساعد على الاعتماد على النفس .

(ثالثا) بأنه يعاون المربين على ملاحظة التلاميذ في أثناء لعبهم واشتغالهم بالجمعيات المختلفة ، فيستطيعون استنباط نتائج ، قد يكون لها شأن يذكر في تعديل نظم التربية وقواعد التعليم .

(رابعا) بأنه يساعد على احترام شخصية التلميذ ، وتشجيع ميوله ، لأنه يفتار من صروبه ما يشاء لا ما يشاء له غيره ، وهذا له أحسن الأثر في تكوين تلك الشخصية ، وتمية تلك الميول .

(خامسا) بأنه يبعث في التلميذ الروح الاجتماعي ، إذ يشعره بأنه فرد في مجموع ، فعليه أن يعمل عملا ما في ناحية أو أكثر من ناحية لمصلحة المجموع ، لأن نتائج العمل في نواحي النشاط المدرسي ، تتوقف على جهود الأفراد وإخلاصهم في القيام بها .

(سادسا) بأنه يدفع المدرس والتلميذ إلى الاستعانة بكل قواها العقلية والوجدانية في الإنتاج الفكري والعملي .

وبعبارة موجزة أن ميدان النشاط المدرسي يهيئ الفرصة للتلميذ ليفهم ما يتعلم بالتفكير فيه ، ثم بالاستفادة منه عمليا ، وبتطبيقه على نواحي الحياة ، فيتبين الحقائق ظاهرة جليلة . وهذا يباعد بينه وبين عالم الخيال البحت ، ويجعله يشعر بكانه وشخصيته .

ولقد أجهل مسيو لويس دوماس Louis Dumas العضو بالمجلس العالى للتعليم بفرنسا في وقت ما معنى النشاط المدرسي فيما يلي :

“ Préparation à la vie parmi les réalités de la terre.”

“ إعداد للحياة وسط عالم الحقائق ” .

وهذا يحقق ما ذهب اليه John Dewey الأمريكي في التعليم بأنه يجب أن يكون :
“ Learning by doing.”

“ أى أنه يجب أن يقوم التعليم على أساس عمل الأشياء ” .

وقلنا فيما سبق إن النشاط المدرسي يقوم على الرغبة ، وهذا هام جدا ، لأن ترك حرية العمل ، للدرسة بحسب ما يهديها إليه تفكيرها ، وما يترأى لها أنه أنجع الطرائق وأنجح النواحي والتلميذ فيختار بحسب استعداده وميوله ، أكبر عون لتكوين شخصيات المدارس وشخصيات التلاميذ على السواء .

وصبق أن قلت إن الفرنسيين يتعدون عن النشاط المدرسي باعتباره Les Loisirs وهذا يلقي ضوءا على ماهيته ، إذ أنهم يعنون بذلك تنظيم أوقات فراغ التلاميذ .

هذا هو الأصل في النشاط المدرسي، وأول ما فكر فيه من عهد سعيد لتنظيم هذه الأوقات هي الألعاب ولست في حاجة إلى التحدث عن مزاياها، وفوائدها، في تقوية الجسم، وسلامة العقل وبث روح التعاون بين التلاميذ، وتمويدهم الإقدام والشجاعة، والصبر والجلد، وقوة الملاحظة، وغيرها من الصفات اللازمة لتكوين الرجولة، وإبراز الشخصية. ولقد قيل إن إنجلترا تكسب حروبها في ميادين الألعاب.

على أنه بمضى الزمن تغيرت وجهات النظر في وسائل التعليم، فلم يعد الغرض منه أن يكون التلميذ أداة استقبال تستقبل ما يتقنه المدرس له، ويتصبه في ذهنه قسرا، ويحشده فيه حشرا، دون أن يكون له فيه أثر، بل تحول إلى أن يكون التلميذ أداة حية، تعمل بنفسها لنفسها، تحت إشراف المدرس، ليثقف عقله، وتهذب نفسه، فتكون شخصيته ولقد قال الفرنسيون :

“ Il vaut mieux une tête bien faite qu'une tête bien pleine.”

“لأفضل أن يكون الرأس حسن الإعداد، من أن يكون مليئا ومشحونا بالمعلومات.”
نعم يجب أن يكون التلميذ أداة حية لها طابعها، وشخصيتها، وميولها، واستعدادها، ومواهبها. والنشاط المدرسي يكشف عن ميول التلميذ واستعداده ومواهبه، لأنه يختار من نواحيه ما يتفق مع هذه الميول، وما ينسجم مع تلك المواهب. وفي هذا عنصر إبراز شخصيته، وعامل نجاحه في الحياة.

وعلى ذكر نواحي النشاط المدرسي يورد بعضها :

فهناك النشاط الأدبي، وهذا للغات، فتكون جماعات المحاضرات، والمناظرات، والتحرير، والمطالعة، والتلخيص، والأدب، الخ.

والنشاط الاجتماعي، فتكون جماعات الجغرافية والتاريخ والخدمة الاجتماعية الخ.

والنشاط العلمي، فتكون جماعات الطبيعة والكيمياء وعلم الأحياء الخ.

والنشاط العلمي، فتكون جماعات الأشغال اليدوية وفلاحة البساتين الخ.

والنشاط الفني، فتكون جماعات الموسيقى والتمثيل والرسم والتصوير الخ.

فضلا عن الرحلات والإذاعة والسبينا المدرسية.

ويتخذ النشاط المدرسي وسيلة لتوجيه التلميذ الوجهة التي تؤدي الى نجاحه، فلا يترك يتخبط في دياجير الظلام، يدرس برامج المواد النظرية وقد لا يكون قد خلق لها. وكثيرا ما يفشل التلميذ في المدرسة الثانوية، ويرسب عاما بعد عام في الفرقة الواحدة، وكثيرا ما يعجز عن الوصول إلى نهاية هذه المرحلة، فإذا ما أخرج منها وألحق بمدرسة صناعية مثلا بز الأقران وكان النجاح رائده. والأمثلة كثيرة.

وحنا يحمل أن ورد ما قاله الأستاذ Dewey في مؤلفه Human Nature and Conduct

"لقد أظهرت أبحاث أستاذة التحليل لفساني أن الميول والمواهب والمواقع ذات حست ، وتركت كامنة في حنايا القموس ، قفرت سم ، وسببت قروح ، وأفرزت مواد قاتلة مهلكة " والنشاط المدرسي هو لدى يخلق هذه الميول والمواهب والمواقع من عقدها ، ويبعثها حرة طليقة ، فتقتطرا كسير الحياة بدل السم ، وتسبب سلامة الجسم ونصارته بدل القروح . وتفرز كل دواء ناجح لنواحي الحياة بدل المواد لقاتلة المهلكة .

أقيمت معارض النشاط المدرسي في العام الماضي في مناطق التعليم . وقد شهدها آلاف بل ملايين من المصريين . وأقول ملايين ولست مبالغا لأن كل بيت في مصر كان عارضا في أحد تلك المعارض . ولقد بهر الناس ما رأوا من أعمال التلاميذ ، حتى لقد ذهب بعضهم إلى القول بأن المعارض لم تكن من صنعهم . وهم معذورون في ظنهم ويريتهم ، إذ لم تعهد مصر من قبل مثل هذا التطور العظيم في أساليب التعليم ، ولم يعتد الناس أن يروا تلميذا في المدارس الابتدائية صناعا ، أو في المدارس الثانوية والفنية مبتكرا . والحق يقال إنني أنا شخصيا داخلني الشك في لوحات عرضتها إحدى مدارس القاهرة ، فأتوا لي بالمثال الحاذق من بين تلاميذها ، فقام بعمل لوحتين تحت رقابتي وملاحظتي ، وإذ ذاك غمرني الفرح والسرور ، لأن هذه ثروة فنية ما كنا نستطيع أن نكتشف عنها لولا النشاط المدرسي . ومدرسة أخرى عرضت نماذج للسفن الحربية على اختلاف أنواعها صنعت بدقة ومهارة جعلتني أشك في أمرها ، فأتوا لي بالصانع الصغير وهو أحد تلاميذها ، فقام بعمل بعض النماذج في المعرض ، وعلمت من السيدة الجليلة جدته أن له بالمنزل ورشة معدة إعدادا تاما يقوم فيها بإشباع تلك المهوبة . وهذه ثروة صناعية وفنية لم يكشف عنها إلا النشاط المدرسي ، وتلميذ في مدرسة قنا الثانوية اختصته المدرسة بحجرة يعرض فيها أعماله وأجهزته الكهربائية ، وكل من زاره يذكر مقدر ما شعر به من غبطة وسرور خذا الاتجاه سليم إندي وجهته المدرسة بإيه في ميدان النشاط المدرسي . ونحن مازلت مبتدئين ، ولا بد أن لزمن سيقوى دعائم النشاط المدرسي ، ويوسع مجاله ، فنظير العبقريات والمواهب ، وتعمل حرة طليقة في ذلك المجال الواسع ، تصول وتجول في ميادين الفن والأدب والعلم والصناعة وتظهر المخترعات والمبتكرات على أيدي تلك الشخصيات المهوبة ، إنني أطمح حيا العنان ، ووجهت إلى الطرق التي تناسبها .

فالنشاط المدرسي يحول ما يتعلمه التلميذ إلى فوائد عملية وهو فضلا عن ذلك يكشف عن الميول والمواهب في التلاميذ ، فتبدو لكل منهم شخصيته . نعم تبدو شخصيته لأن التلميذ في ميدان النشاط المدرسي يسترد شيئا من الحرية في العمل ، والاستقلال في الفكر ،

ويححر من نير الكتب المقررة ، واستبعاد المذكرات المهمة ، وهي كثيرا ما تنفي عزمه
عن البحث والدرس والاستقصاء ، وهذه هي التربية الاستقلالية التي نأشدها لأبنائنا
والتي تبعث فيهم الثقة بالنفس ، والاعتداد بالذات ، والاعتقاد على الجهود الشخصية .

فهذا تلميذ يقوم محاضرا بين إخوانه ، أو خطيبا في مناظرة فهو يبحث ويدرس
ويبدى الأسباب ، ويصل إلى النتائج ، وهكذا ، حتى إذا ما غادر المدرسة الثانوية غادرها
وقد وثق من أنه يستطيع أن يقف خطيبا في جمع من إخوانه . ومما يجدره ذكره في هذه
المناسبة أن تلميذا في مدرسة ثانوية في الوجه القبلي ، تخرج في كلية الحقوق ويستغل
بالمحاماة ، تبرع بلحاعة الخطابة والمناظرة بتلك المدرسة بجوائز أدبية توزع على المتفوقين فيها
اعترافا بما لها من فضل عليه في حياته العملية .

وهذا تلميذ يدرس العلوم بعمل على تطبيقها على الحياة اليومية ، فيستطيع أن يقوم في منزله
بعمل التركيبات الكهربائية مثلا ، وإصلاحها ، وإصلاح الراديو ، وعمل الكولونيا
والصابون وهكذا .

وهذا آخر ميل إلى فلاحه البساتين فيمشق الأزهار وتربية النحل والدواجن ويلم بالكثير
من الصناعات الزراعية والمنزلية .

وهذا آخر أغرم بالموسيقى أو بالرسم والتصوير فأبدع وتفنن .

وهذا تلميذا جذبته الأشغال اليدوية فأحسن الابتكار بما يدل على حسن الذوق .

والواقع أن كلا من هؤلاء كثر لنفسه شخصية خاصة به تلازمه مدى الحياة ، شخصية
كثيرا ما تنال إعجاب الغير واحترامه وحسن تقديره .

ولو سئلت ما هو أهم ما يؤديه النشاط المدرسي في تكوين الشخصيات ، لقلت هو إشعار
التلميذ بالمسئولية ، ومتى شعر بالمسئولية قلت أوقات الفراغ التي يقطعها جزانا ، والتي
بعضها عبثا وفيها لا يفيد ، لأنه مشغول ، يفكر بعقله ، ويجرب ويعمل بيديه ، بجميع أوقاته
مشحونة بحب الاستطلاع والبحث والتفتيش . وهو يسير بعينين مفتوحتين لثريا كل شيء
وعقل مستعد لفهم ما يحيط به من طواهر ومظاهر ، فهو بذلك بعيد عن مواطن السوء
بعيد عن كل ما يقطع عيه السبيل إلى النهوض العلمي ، والسمو الخلق ، والقوة الجثائية ،
وهو بكل ذلك سعيد ممتلئ غبطة وسرور . ولا يشعر التلميذ بالمسئولية إلا إذا تعود الثقة
بالنفس فيما يبدهه بنفسه ، وهو نفعه وخطره ، وهذا هو مفتاح الشعور بالمسئولية ، فالتلميذ

الذى يشترك فى النشاط المدرسى ، والذى يساهم فى ناحية أو أكثر ، يجب أن نوحى إليه بالشعور بالحاجة إلى عمل الأشياء ، والرغبة فى القيام بها ، بدافع من نفسه ، لأن نشعره بأنه يتحتم عليه عملها ، والقيام بها ، ويجب ألا نتدخل معه إلا بالقدر اللازم لمجرد الإرشاد والتوجيه ، أو للتنبيه إلى أشياء لا يعرفها ، أو إلى طريقة توصله إلى النجاح فيما هو يصدد القيام به ، أو لنشجعه على القيام بعمل قد يظنه صعبا . ويجب أن يفهم أنه هو القوة المفكرة والمنفذة وأنه يجب عليه أن يكافح ويجاهد فى التحصيل وفى الدرس ، وفى إعداد نفسه للحياة ، حتى لا تهزمه الصعاب التى تضعها فى سبيله الظروف ، وحتى يستطيع التغلب عليها ، فيشق طريقه ، وتمهيا له أسباب النجاح والسعادة والذخاء .

الشباب

كان الموسيو بوانكاريه وزيرا للمالية فى إحدى الوزارات الفرنسية وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، وكان يطيب لبعض أعضاء مجلس الشيوخ أن يعروه بصغر سنه ليغيطوه وحدث أن قاطعه أحد الشيوخ قائلا : أعذروا الوزير فهو شاب لا يستطيع أن يلم بواجبات وظيفته الإمام الكافى . عندئذ صرب بوانكاريه المنبر بقبضة يده وصاح : " والله ان الشباب عيب تودون جميعا أيها الشيوخ أن يكون فيكم " .